لها خندقين عظيمين حُفرا في رأسها الذي بقربه موقع البلدة . واليوم اذا اعتبرت قعر هذين الخندقين اللذين يفصلان رأس انفة عن البرّ وجدتهُ يابساً لا يتّصل اليهِ البحر . وعندنا انَّ الامر كان على خلاف ذلك في عهد الفينيقيين وهم الذين قاموا بهذا العمل العظيم . ونحتوا الخندقين ليملأهما ماء البحر ويردّوا بهما غارات العدوّ من الجهة الشرقيَّة عن المدينة التي كانت حصناً حصيناً . فان يبوستها اليوم تدلُّ على انَّ الساحل ارتفع فلم تعد المياه البحريَّة تتصل بهذين الخندقين

وكلُّ هذه الادلَّة والآثار التي جمعناها من امكنة شتَّى على الساحل الفينيقيّ مباشرةً من مصبّ نهر القاسميَّة الى نهر ابي علي . وهي تبرهن على انَّ الساحل الفينيقيّ ليس فقط في الازمنة السابقة للتاريخ لكن بعدها ايضاً لم يزل على تصاعُد متوالٍ والبحر على تقهقر وتحدُّر . وفي كل ذلك تتحقَّق السُّنَّة التي وضعها الخالق عزَّ وجلّ فانَّ البحر لمَّا كان طامي ويبغي فيدّمر بمياهه الساحل صار لذلك فعل انعكاس من جهة الساحل بان ارتفع واعتلى فظهرت الحكمة الصمدانيَّة التي جعلت لقوى الطبيعة قوانين لا تتعدّاها . وفي درس الجغرافية ما يكشف لنا القناع عن هذه الحقائق والسُّنن التي فيها نظام الخليقة كلها

العاب القمار

للشاب الاديب ميشال افندي الياس سماحه

اوضحنا في كلامنا السابق عن البورصة ومضارباتها (المشرق ٧ : ٧) المضارّ الناتجة عن اشغال البورصة والعاب المضاربات وأجلنا الكلام عن العاب القمار فايفاء بما وعدنا نخصّص هذا المقال بالمقامرات وما يتوط بها

قد لا يخلو فردٌ في الهيئة الاجتماعية من عادةٍ يألفها وقت الحطّة او ميلٍ ينصرف اليهِ في ساعات الفراغ . والناس من حيث اميالهم وعاداتهم ينصرفون الى مذاهب شتَّى وذلك امَّا حسب معدنهم واستعدادهم او تبعاً لما توفقهم اليهِ الاحوال من طرائق التسهيل او لما يتمهَّد لهم من وسائط التشويق والترغيب

ومن شرّ العادات المتّبعة الآن القمار وقد عاينا من انتشار هذا الداء القبيح وازدياد تداول العابه بين الناس ما كاد يجملهُ من جلّ الملاهي التي يسعى اليها العامة من كل فئة ودرجة ليروّحوا بها النفس في ساعات الفراغ (كما يزعمون). ويتسمّى لهذا الزعم بالاخص الفريق الاكبر من دُعاة التمدّن في الزمن الاخير ممّن لا تُعرف لهم صفة من مزاولة هذه الالعاب سوى قتل الاوقات وتبديد الاموال او كسبها جُزافاً وبغير مطالب الكدّ والسعي. وذهبوا لا يبالون بجرمة الشرائع المنزلة ولا يردعهم تنديد وسخط الرأي العام ولا يخيفهم عقاب القانون ولا صرامة احكام القضاء . . . !

والبعض منهم يخونهم السعد في اللعب ويلاصقهم النحس فيعمدون الى متابعة اساليب الغش والاحتيال التي وان تصادف رواجاً في بعض الاحيان لكنها لا تخلو من الفضيحة فتسوم اصحابها خسفاً بالقريب العاجل

ونرى انّ اكثرهم من شدّة اليأس الذي يستحوذ عليهم يستسلمون كلّياً للاقدار فيخاطرون بمراكزهم ولا نبالغ اذا قلنا انّهم يطوّحون بها عليهم الى مخاطر الصدف والاتفاق. ولا شك انّهم يصبحون عندئذٍ فاقدين الادراك خالين من التمييز. واقوى دليل على هذا ان اغلب من كان على هذه الصفة يقضي به الحال من شدّة عوامل اليأس والقنوط الى الجنون ان لم يكن الى الانتحار

نشأة القمار

القمار ودعاه العرب الميسر كان شائعاً في الجاهليّة على هيئات متنوعة اقتبسوا اكثرها عن الفرس واهل الصين وفي ظهور الاسلام حُرّم وأجمعت حكومات العالم على النهي عن القمار وعقاب لاعبيه وحظرت اشهر الاديان عن معاطاة اعماله وخطّأت ملازميه كما ان المدنيّة قد نبذت مجالسهُ وسخرت بريديه

ومن انواع القمار التي شاعت بين الشعوب القديمة المراهنات فكانوا يجعلون خطراً او سبقاً يتراهنون عليه يُعطى لمن جاء الامرُ موافقاً لظنّه كما كان يفعل الرومان في خيل الرهان او في سباق العجلات كانوا يضاربون بمالهم على ايها يسبق فيستحقّ المال ممن صدق قوله. وكذا كان يفعل اليونان في حضار مدينة تروادة وفي العابهم الاولمبية. وجاء بعد ذلك في التاريخ ذكر المراهنات عند شعوب كثيرة خصوصاً في مسابقات الجياد

والسعاة والحمام مما لا يزال جارياً لغاية يومنا هذا والبعض من هذه المراهنات قد تناساها القوم ومحت ذكرها كرور الأيام

غير ان التاريخ في جميع ذلك لم يذكر لنا شيئاً عن سير الاقدمين وعن تهجمهم بالمراهنات على احوال الحظة الحاضرة التي سار عليها الان مزاولو هذا الفن من القمارة بالمبالغ الجسيمة والكميات الفاحشة التي تهدد المدنية بالخراب والشيبة بفساد الاخلاق

ومن يحضر منتدى هذه الشيعة في حلقة اجتماعها وبالاخص في اواخر الليل حيث يكون قد حمي وطيس اللعب واحتدم التنافر بين الفريقين حتى يبلغ التعشر منهم اشدّهُ يتضح له باجلى بيان شراسة اخلاق هؤلاء القوم وسوء مبادئهم وتعاسة احوالهم. كيف لا ويرى ان اكثرهم قد تتبعهُ النحس ولزمهُ سوء البخت فافلس واصبح حزيناً وقلبهُ مفعم كآبةً وغماً يلعن ويجدف وبعضهم اضاع الكسب وشبهُ فوقف مهللاً فرحاً طروباً يشيّدُ القصور في عالم الخيال ويبني الدور في واسع الفضاء التي لا يمضي الليل الثاني حتى تقوّضُ اركانها تقلباتُ الزهر (باصطلاح البوطة) لان من قبائح هذا الداء الوخيم ان القامر اذا زاد ربحاً ازداد ولوعاً وشغفاً بالقمار كما ان خسارتهُ ليست برادعة لهُ عن معاطاتهِ لأنهُ يأمل التعويض الذي هيهات ان يدرك التوصل اليهِ ولربما تيسر لهُ الاستعاضة فيعود الى تعليل املهِ بالربح. بحيث انهُ لمن المستصعب استئصال عدّة هذا الداء العقيم ممّن قد اعتاده وعلى هذا النحو تتسم عامّة مجالس المقامرين. فليتأمل العاقل بخلاصة هذه الاعمال وما النهاية والى اين المصير

ورق اللعب

من اهمّ ادوات العاب القمار المتداولة بين العامة ورق الشدّة وعليهِ الان مدار حركة العاب المقامرين. وقد نسب بعض المؤرخين اختراع هذه الملهاة الى المصريين وعزاها غيرهم للصينيين او لمن جاورهم من أمم لسية لانهم اقدم من تعاطى اللعب بورق الشدّة. ولم يدخل الورق الى اوربة الّا في سنة ١٢٧٥ كما رجحهُ البعض بواسطة العرب او اليهود ولعلّ بعض الصليبيين هم الذين نقلوهُ الى بلادهم في جملة ما نقلوا من الالعاب الشرقيّة بعد عودتهم الى بلادهم كلعب الكرة والشطرنج والنرد وغير ذلك. وفي اوائل

الجيل الثالث عشر شاع استعمال لعب الورق في ايطاليـة وانتشرت بعد ذلك العابهُ في جميع مدن فرنسة واسبانية وغيرها من بلاد الافرنج

ولا تخلو الالعاب الاخرى كالداما والدومينو والكيل (quilles) والبلياردو وغيرها من ادوات اللعب من المراهنات والمقامرة غير انهُ قلَّما يتعدَّى امرها الكميَّة الجزئيَّة ان لم تقل الطفيفة في اكثر الاحيان . وعلى كلٍ ووجه الاجمال يُقال انهُ مهما بلغت اليهِ مراهنات هذه الالعاب فانها لا تدرك شأو العاب الورق وجسامة خطرها نظرًا لسرعة تقلباتها وكثرة تغيُّراتها

ومما لا ريب فيهِ انتقال جراثيم هذا الداء الوخيم من اوربة الى بلادنا في العصر الاخير وانتشار العابهِ بينها حتى كأنَّنا اصبحنـا لا نخشى لومة العذَّال في بلاد الغرب بالتصريح ان بين ظهرانينا الان افرادًا قد برعوا في هذا المضمار حتى بلغوا الدرجة القصوى بمهارتهم وغرابة العابهم خصوصًا اننا قد عرفنا البعض الذين في غالب السنين تدفعهم عوامل السعي والاجتهاد فيقصدون مونتي كارلو (Monte-Carlo) وهو ملعب موناكو سواء كان للتجارة بهذا الصنف او للاستكشاف على ما جدَّ وطرأ على السوق العام لهذه الاشغال من تأليفٍ واختراع

ومن الغريب ما طالعناه اخيرًا في احدى الجرائد اليوميَّة في القطر المصري مقالٌ لاحدهم جاء فيهِ: « ان مضارَّ المضاربات في البورصة اشد كثيرًا من العاب القمار لانَّهُ كما ادَّعى ان في القمار يتساوى حظ المقامر في الكسب والخسارة واتى بشاهدٍ على هذا لعب البكرة الى غير ذلك من الاقوال الوهميَّة التي هي كما لا يخفى من مزاعم طلَّاب فنّ القمار ومن عشيرة مريديهِ » . وليقل لنا هذا الخبير العالم اي مساواة يرمي اليها او اي توازنٍ يقصدهُ اذا كان لا رابطة لهذه الالعاب غير الصدفة والاتفاق

ومن نظم المرحوم الشيخ نجيب الحدَّاد هذه الابيات ولا شك انها من نفائس ما جادت بهِ قرائح شعراء زماننا في وصف القمار

. . . .

لكلِّ نقيصةٍ في الناس عـارُ وشرُّ معايب المرء القمـارُ
تشادُ لهُ المنازل شاهقات وفي تشييد ساحتها الدمارُ
نصيبُ النازلين بها سُهادٌ فإفلاسٌ فيأسٌ فانتحـارُ
قد اختصروا التجارة من قريبٍ فمُدمٌ في الدقيقة او يسارُ

ونس العيش نقرٌ مشديرٌ يعارضها بارٌ مشمارُ
ونس المال لا يخلي يمينٌ به حتى تسلّمهُ اليسارُ
يفرُّ من البنان فليس يبقى لهم من أثره الّا اصفرارُ
فينا تبصرُ الوجنات وردًا اذا هي في خارضم جُارُ
ترام حول بسطتها نقودًا يدبرُ عيوضم ورقٌ يدارُ
يُلاحظ بعضهم بعضًا بعين يكادُ يفيء أسودها الشرارُ
فتحسبُ ان بين القوم ثأرًا ولا ثأر هناك ولا تقارُ
كأن عيوضم لمّا أديرت قِمارُ حاتمٌ والمالُ نارُ
فهم لا يبصرون سواه شيئًا كساري اللبل لاح لهُ منارُ
وهم لا يحلفون على خليلٍ وليس يشوقُ انفسهم مزارُ
وهم لا يذكرون قديم عهدٍ وليس لهم سوى الامس اذ كارُ
فكم غضبوا على الايام ظلمًا وكم حنقوا على الدنيا وثاروا
وكم تركوا النساء تبيتُ تبكي وتسدها الأُصيبةُ الصغارُ
تبيتُ على الطوى ترجو وتمشي يؤرّقها السهادُ والانتظارُ
فبئست عيشة الزوجان حزنٌ وتسهيدٌ وهجرٌ وافتقارُ
وبئست خلّة الفتيان غمٌّ وأتعابٌ وخسرانٌ وعارُ

اوهام القامرين

اذا سرّحنا الطرف في عالم هذا الكون الفسيح نرى انهُ قد لا تخلو امةٌ على وجه البسيطة الّا وقد تمسّك جهّالها بكثيرٍ من الخرافات والاوهام التي تسري بين الأمة فتتغلّب على عقولهم وتأسر البابهم وذلك حتى عند الشعوب التي تدعي بمنتهى التمدّن في الزمن الاخير . غير ان للمقامرين خصوصًا في كل بلاد وواد نوادرَ شتى في مجالسهم كما ان خرافة الاوهام التي تتسلط على عقولهم تُعدّ في بابها من الغرائب . فقد يتّفق لاحدهم تردُّد الجلوس على كرسيٍّ وتتابع الخسارة عليهِ في ذاك المحل فيعدّ انّ طالع هذا المتكأ مشؤوم عليهِ ولا يعود يدنو منهُ البتة . وعرفنا البعض يتشاءمون اذا سُئلوا عن ارباحهم في ليلٍ مضى ويدّعون ان نشر ذلك مدعاةٌ الى كسر الزهر (باصطلاح امة القامرين) وغيرهم يغضبون شديد الغضب عند تواتر الخسارة حتى انهم يأخذون بالتجديف على الزهر ثم عند تحسين الاحوال ترقّ اطباعهم فيعودون الى ملاطفتهِ وموادعتهِ قصد الحصول على رضاه وكأنهم عند ذلك يتخاطبون مع ذاتٍ او شخصٍ منظور . ومن غريب ما يُحكى عنهم ان اكثرهم يتفاءل برؤيا الورق المزوّق عند فتح

الورق ويعبّرون عن ذلك بعبارات شتى ومنهم من يتشاءم برؤيا النقط السوداء وغيرهم باجتماع بعض الاعداد الى غير هذا من فواعل الوهم وعوامل التأثير التي تتملك في اذهان الاكثرين وتراهم في حقيقة الامر يدركون جلياً خرافة امرهـا غير انهم يؤكدون ان التكرار والعادة قد حققتا معتقدهم وجعلتهم ينقادون الى التصديق بهذه الاوهام حتى لم يبقَ لهم وجه في تكذيبها وابطال صحتها . . .

وللمقامرين مهارة عظيمة وفنّ لطيف بتصنيف الورق وتطبيق الاعداد وجمع الصور المزوّقة ولهم بذلك اساليب شتى تحيّر الالبـاب وتسحر العقول . والبعض منهم يدعي قراءة الافكار وغيرهم التبصير بالورق ومعرفة البخت والتنصيب الى غير ذلك من الاقوال والمزاح مع السذج والبسطاء . ومن رشاقة هؤلاء القوم مـا يُدهش الابصار فقد يأخذ احدهم ورقة من ورق اللعب ويصوّبها بعزم على زجاج النافذة فلا تكاد تصل اليه حتى تكسره بقوّة وسرعة اندفاعها . ورأينا آخر يأخذ ورقة ويدفعها الى العُلى ضمن فراغ المنزل فتعلو وتسير كالسهم وباحدى زواياها تلتصق بخشب السقف واعمال كثيرة نظير هذه يتفكه بها المقامرون قبل انتظام حلقة اللعب مرجعها للعادة ولرشاقة التمرين

سوء المصير

وكما ان للبورصة سماسرة مأجورين يخدمون اشغالها ويسهلون اعمالها كذلك يقال ايضاً عن القمار انهُ لم يُحرم من نصراء يُرزَقون من السعي والجدّ في طلب الزُبُن وجلب الشبّان الى نواديه . فكم من جاهل قد خدعهُ هؤلاء السماسرة المحتالون بمحاسن الكلام ما بين تشويق وترغيب قادوهُ الى المجالس العامة حيث التفّ حولهُ رجالُ (البوطة) واحتالوا عليه وجرّدوهُ واقتسموا بينهم ما حوتهُ كيسهُ ولا نبالغ اذا قلنـا لولا الأنفة والعار لأعادوهُ من لحيث اتى عريانًا كما اوجدتهُ الطبيعة . غير انهم في اكثر الاحيان قد يرفقون باحوال هؤلاء المساكين المتكودي الحظ ليس شفقةً عليهم بل املًا منهم ان يطمعوا بالرجوع اليهم مرّةً أخرى

ومما يقضي بالاسف الشديد انتقال جراثيم هذا الداء الوخيم من النوادي والحانات المختصة به الى منازل العائلات كما اننـا نسطر بمداد الاسف ما نراهُ الآن من اغضاء الاكثرين ونخصّ منهم ارباب وربّات البيوت الموكل اليهم من الله الانتباه لتربية

الشبيبة على مبادئ الفضيلة والأدب والسعي والاجتهاد يغضون الطرف غير مبالين بوخامة العقبى وسوء المصير الذي سوف يلاقونهُ في المستقبل من وراء هذه المقامرات لعدم مراعاتهم ما تطالبهم به الواجبات الابوية والمدنية

ولا نقصد من بحثنا هذا التضييق على القوم او كفّ ارباب العائلات عن ترويض الافكار ومن التسلية في ساعات الفراغ فقد كان آباؤنا سالفًا يميلون الى التسلية الهادئة في الليالي الطويلة وخصوصًا في أيام الحطلة كلعب الورق المزوّق والنرد والشطرنج والداما والدومينو وما شاكل هذه الالعاب وغيرها مما يروّح الفكر دون ان يضر بالآداب ولم نسمع انهم كانوا يتهجون بألعابهم مناهج الخطة الحاضرة التي سارَ عليها الآن دعاةُ التمدّن ومزاولو هذا الفن بقصد التجارة والتكسب من وراء المراهنات الفاحشة والمجازفات العظيمة التي تهدد المدنيــة بالخراب والبيوت العامرة بالإفلاس والدمار

هذا وبالاختصار ان لنا بصروف الدهر اعظم عظة واشأم تذكار بنكبات من زاول من القوم العاب هذه المجازفات الوخيمة فكم وكم من بيوت عامرة قد دمّرتها البورصة وكم من معالم كانت رفيعة شهيرة قد دكّ اركانها القمار ولم تبقِ لنا الأيام سوى آكام واطلال يحدثنا الآن الرواة عن سابق عزّها وشامخ مجدها فلعلّ بذلك عبرةً للمقامرين ان هم يدركون والله الهادي الى سواء السبيل

المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

اعمال الآباء (تتمّة)

(العدد ٣٩) كتاب ضخمٌ مجلّد بخشب وجلد طولهُ ٢٦ س وفي عرض ١٦ س وسمكهُ في اسفلهِ ١٥ وفي اعلاه ١٠ س وعدد صفحاتهِ ٨٣٢ وفي كلّ صفحة ١٧ سطرًا . وهو مكتوب بحرف كبير واضح وبحبر اسود الّا الفصول منهُ فانّها مكتوبة بحبر احمر وقد اشترينا هذا الكتاب في طرابلس الشام سنة ١٨٨٥ امّا فحواه فانهُ